﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦﴾ [الكهف: 65 - 66]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لما قَبْلَهُما:

العلاقة بين الجِدّ في طلب العبدِ الصّالحِ واللّقاءِ العلميّ الّذي خلّده القرآنُ

بعد أنْ ذكرَ البيانُ القرآنيُّ سرعةَ ارتدادهما وتتبّع آثارهما حرصًا وشوقًا للقاءِ الخَضِر ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾، أعقبهُ بذِكْرِ مشهدِ اللقاءِ، ومبادرةِ موسى ﷺ بطلبِ اتّباعِ الخَضِر والتعلّم منه فقال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَبۡدٗا﴾: أصلُ (عبد) يَدُلُّ على لينٍ وذُلٍّ، ومنه طريقٌ مُعبَّدٌ، وهو المَسلوكُ المُذَلَّلُ[1]، والعَبدُ: الإنسان حُرًّا كان أو رَقيقًا، وأصلُ العُبوديَّةِ الخضوعُ والذُّلُّ، والعِبادةُ: الطّاعةُ، والتَعَبُّدُ: التَنَسُّكُ[2]، والعِبادَةُ أبلغُ منها، لأنَّها غاية التّذلّل، ولا يستحقّها إلّا مَن له غايةُ الإفضال، وهو الله تعالى، والعبدُ يُقال على أربعة أضرب: الأوّل: عبد بحُكم الشّارِع؛ وهو الإنسان الذي يَصحّ بيعُه وابتياعُه، والثّاني: عَبْدٌ بالإيجاد، وذلك ليس إلّا لله، والثّالث: عَبْدٌ بالعِبادَةِ والخدمة، والرّابع: ما هو عبد للدُّنيا وأعراضها الفانية[3]، والمُرادُ بالعَبْدِ في الآية: عبدًا من عباد الله، وهو الخَضِر ﷺ كما دلّت عليه الأحاديث الصّحيحة[4].

2) ﴿رَحۡمَةٗ﴾: أصلُ (رحم) يدلّ على الرّقةِ والعطفِ والرّأفةِ[5]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عبد).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، والزَّبيديّ، تاج العروس: (عبد).
(3) الرّاغب، المُفردات، ص: 542.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 175، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 369.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رحم).

والرَّحْمَةُ في بني آدَمَ: رِقَّةُ القَلْبِ وعَطْفُهُ، ورَحْمَةُ اللّه: عَطْفُه وإحسانه ورِزْقُهُ، والرَّحْمَةُ: المَغْفِرَةُ[1]، والرَّحْمَةُ رقّةٌ تقتضي الإحسان إلى المَرْحوم، وإذا وُصفَ به الباري فليس يُراد به إلّا الإحسان المجرّد دون الرِّقّة، وعلى هذا روي أنّ الرَّحْمَةَ من اللّه إنعامٌ وإفضال[2]، واستُعملت الرّحمة في القرآن على عدّة أوجه منها: الجَنّة، والإسلام، والإيمان، والنّبوّة، والقرآن، والرّزق[3]، والمُراد بالرّحمة هنا: الوحي والنّبوّة[4]، وقيل: الولاية[5].

3) ﴿لَّدُنَّا﴾: لدن بمعنى: لَدَى، وهما ظَرْفا مَكانٍ بمَعْنَى (عِنْدَ)؛ إلّا أَنَّهُما لا يُسْتَعْمَلانِ إلّا في الحاضِرِ، يُقالُ: "لَدُنهُ مالٌ" إذا كانَ حاضِرًا[6]، و(لَدُنْ) أخصّ من (عند)، لأنّ (لدن) يدلّ على ابتداءِ نهاية؛ أي: يوضعُ موضع نهاية الفعل[7]، ومعنى ﴿لَّدُنَّا﴾: عندنا[8].

4) ﴿رُشْدَا﴾: أصلُ (رشد) يدلّ على استقامةِ الطّريق، والرُّشْدُ والرَّشَدُ: خلافُ الغَيِّ[9]، ونقيضُ الضَّلال، وأَرْشَدَه اللّهُ إلى الأمر: هداهُ، واسْتَرْشَدَه: طلبَ منه الرُّشْد، والرُّشْدُ: هو صلاحُ الأمرِ وكونه على الوجه الصحيح، وهو استقامةٌ على الطّريقِ الحقّ مع تصلّبٍ فيه[10]، وقيل: الرُّشد والرَّشَد والرَّشاد: الهدايةُ والاستقامة[11]، والمقصود بـ﴿رُشْدَا﴾ في الآية: عِلمًا ذا رُشدٍ أرشُدُ به في ديني[12]؛ أيْ: علمًا ذا هدىً وإصابة خير[13].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول تعالى ذِكْره: وجدَ موسى وفتاه بعد البحثِ وتقصّي الأثر الخَضِر؛ وهو عبد من خواصّ عبادِ اللّه تعالى آتاهُ اللّهُ الوحيَ والنّبوَّة، وأعطاهُ علمًا يختصّ باللّه ولا يُعْلَمُ إلا

(1) ابن منظور، لسان العرب: (رحم).
(2) الرّاغب، المُفردات، ص: 347.
(3) ابن الجوزي، نزهة الأعيُن النّواظِر، ص: 333.
(4) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 126، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 234.
(5) ابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 288.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والفيوميّ، المصباح المنير: (لدن).
(7) الرّاغب، المفردات: (لدن).
(8) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 62.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رشد).
(10) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (رشد).
(11) السّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ: 2/ 93.
(12) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 733.
(13) القاسمي، محاسن التأويل: 7/ 48.

بتوفيقه، وهو من علمِ الغيب، فبادرَ موسى بطلبِ متابعةِ الخَضِر قائلًا له: هل تأذن لي في مصاحبتكَ واتّباعكَ بشرطِ أنْ تُعلّمني من العلمِ الذي علمكَ اللّهُ إيّاه، وهو علمُ هدايةٍ ورشادٍ إلى الحقِّ، أسترشدُ به في حياتي، وأصيبُ به الخيرَ في ديني؟[1].

مشهدُ لقاء موسى والخَضِر يُصوّرُ سموَّ الأدب في التّواضع عند الطّلَب

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نكتة استعمال (الفاء) في قوله ﴿فَوَجَدَا﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ هي فاءُ العطفِ التي تفيدُ التّعقيبَ والترتيب؛ أي إنّه عقبَ الوصولِ إلى الصّخرةِ، وجدا عبدًا من عبادنا[2]، بما يُشيرُ إلى سرعةِ الرّجوعِ والبحثِ عن العبدِ الصالح، والرّغبةِ بلقائه بأسرعِ وقت، وهي الفاءُ الفصيحة مُنبئةٌ عن المَحذوف وهو (حتى أتيا الصّخرة)[3]، بما يُركّز على المشهدِ البارزِ في القصّة – وهو مشهدُ اللقاءِ – ويومئُ بسرعته.

الاهتداءُ إلى مصدر العلم هو غاية التّوفيق لصوابِ الطّريق

دلالة التّعبير بالفعل الماضي ﴿فَوَجَدَا﴾:

أتى التَّعبيرُ القرآنيُّ بصيغةِ الماضي في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾؛ ليدلَّ على أنّ اللقاءَ العلمي بين موسى والخضر قد تحقّقَ وحدثَ في الماضي فأنتج وأينع الثمر، إذ هو في سياقِ قصّةٍ حدثتْ ومضتْ، ولم تتكرّرْ.

لقاءٌ علميٌّ بين موسى والخَضِر تحقّقَ وأنتج أينعَ الثّمرِ

فائدة التّعبير بصيغة المُثّنى في قوله ﴿فَوَجَدَا﴾:

عبّر البيانُ القرآنيُّ عن الفعلِ الماضي بصيغةِ المُثّنى في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾؛ أيْ: جعلَ سبحانه إيجادَ الخَضِرِ لكلٍّ من موسى وفتاه، مع أنّ مقصودَ اللّقاءِ هو موسى ﷺ لا الفتى[4].

في رحلةِ الحقّ لا أحد يُهضمُ له حقٌّ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/ 287، وطنطاويّ، الوسيط: 8/ 552.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4558.
(3) القونوي وابن التَّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 12/ 126.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4558.

سرُّ التّعبير بلفظ ﴿عَبۡدَا﴾ دون مرادفاته:

العبوديّة صفةُ تشريفٍ وتفخيمٍ ورفــعٍ للمقام عظيم

ذكرَ البيانُ القرآني الخَضِر في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدَا مِّنۡ عِبَادِنَآ﴾ بوصفِ العبوديّة لله، فلم يقل مثلًا: (فوجدا بشرًا أو إنسانًا أو رجلًا)؛ وذلك تقريبًا لمنزلته، وتنويهًا وتنبيهًا على علَّة تخصيصه بالرّحمة والعلم اللّدنّيّ، وبأنْ يكون مُعلّمًا لموسى عليه السلام، ولِما في هذا الوصفِ من رفعةِ قدره وتفخيمِ شأنه وتكريمه؛ لأنّه ربطَه بالعبوديّة لله تعالى، وهي أسمى المراتبِ للبشر؛ إذ هي الصّفةُ التي ذَكَرها الله لخيارِ خلقه كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصّافات: 171].

سرُّ التّنكير في لفظ ﴿عَبۡدَا﴾ في السّياق:

الوصفُ بلفظ العبد مِن أشرف الأوصاف لنسبته إلى عَليّ الألطاف

التّنكيرُ في قوله تعالى: ﴿عَبۡدَا مِّنۡ عِبَادِنَآ﴾ للتّفخيم؛ أيْ: تفخيمُ شأنِ العبدِ الصالحِ الذي لُقِّبَ بالخَضِرِ؛ لمعجزةٍ أكرمه اللّهُ بها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: "إنَّما سُمّي الخَضِر، أنّه جلس على فرْوَةٍ بيضاء؛ فإذا هي تهتزّ من خلفه خضراء"[1]، والمُرادُ بقوله: فروة بيضاء: الأرض اليابسة، وقوله: فإذا هي تهتزّ من خلفه خضراء؛ أيْ: أنبتتْ وخرجَ منها الزرعُ بمجرّد جلوسه عليها، ممّا يدلّ على علوِّ شأنه، كيف لا وهو في أرجحِ أقوالِ المُفسّرين أنّه من الأنبياء، قال القرطبي: "هو نبيٌّ عند الجمهور؛ لأنّ النّبيّ لا يتعلّم ممّن هو دونه، ولأنّ الحُكمَ بالباطنِ لا يطّلعُ عليه إلا الأنبياء"، ولقوله تعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا﴾، والرحمة هي الوحي والنّبوَّة، وقال الإمام النّوويُّ رحمه الله تعالى: "والذي عليه الأكثرون أنّه كان نبيًّا"، وقال: "والقولُ بولايته خلافُ المختار"[2].

(1) البخاريُّ، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب: حديث الخَضِر مع موسى عليه السلام، الحديث رقم: (3221).

(2) النوويّ، بستان العارفين، ص: 60.

وعدَلَ عن الإضافةِ إلى التّنكيرِ والصّفة، فلم يَقُل: (فوجدا عبدنا)؛ وإنّما قال: ﴿عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ﴾؛ لأنّه لم يسبقْ ما يقتضي تعريفه، وللإشارةِ إلى أنَّ هذا الحالَ الغريبَ العظيمَ الذي ذُكرَ من قصّته ما هو إلّا من أحوالِ عبادٍ كثيرين لله تعالى، وما منهم إلّا لهُ مقامٌ معلوم، فكان وصفه بأنّه من عبادِ الله تشريفًا له[1].

دلالة ﴿مِّنۡ﴾ بين البيانيّةِ والتّبعيضيّة في السّياق:

من كان من العبادِ؛ نالَ في سعيه المُرادَ

حرف الجرِّ ﴿مِّنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ﴾ بيانيّةٌ؛ لبيانِ المقصودِ بهذا العبد؛ إذِ الخلقُ كلّهم عِبادُ الله، لكنَّ بعضَ هذه العبودية بالتّسخيرِ وبعضها بالاختيار[2]، والمقصود هنا هو جليلُ الشّأنِ ومن جملةِ خواصّ الخواصّ[3]؛ فقد خصّه اللّهُ بالنّبوّة، وبعلمٍ من علوم الغيب، أو تبعيضيّة؛ أيْ: عبدًا من بعضِ عبادنا الذين اصطفيناهم وخصصناهم بالنّبوّة والعِلمِ اللّدنّيّ.

سرُّ الإضافة في المُركّب الإضافيّ ﴿عِبَادِنَآ﴾:

العبوديّة مضافةٌ إلى الله تعالى إضافةَ تشريفٍ لا إضافة تعريف

الإضافةُ في ﴿عِبَادِنَآ﴾ إلى اللّه ﷻ في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ﴾ هي للتّشريفِ والتّكريمِ والاختصاص[4]؛ أيْ: عبدًا جليلَ الشّأنِ ممّن اختُصَّ بنا وشُرِّفَ بالإضافةِ إلينا، فالإضافةُ إضافةُ تشريفٍ؛ لا إضافة تعريفٍ؛ لأنّ وصفَ العبوديّة لله مُتحقّقٌ لسائرِ المخلوقات، فلا تفيدُ إضافته تعريفًا[5].

نكتة التّعبير بـ ﴿عِبَادِنَآ﴾ دون (عبيدنا):

التعبيرُ عن الخَضِر بالعبوديّة إظهارٌ لكرامته عند المعبود

يُجمعُ لفظ (عبد) على: (عبيد) و(عباد)، وكان يمكن أنْ يُعبِّر البيانُ القرآنيُّ بـ (عبيدنا) في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 369.
(2) الرّاغب، المُفردات، ص: 543.
(3) القُشيريّ، لطائف الإشارات: 2/ 407.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 203، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 234.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 12.

عِبَادِنَآ﴾؛ لكن جاء استعمال البيان القرآني بلفظ ﴿عِبَادِنَآ﴾؛ لأنّه جرى في استعمالِ العرب أنْ تُجمعَ كلمةُ (عبد) الذي هو مُسترَقٌّ على (عبيد)، والعبدُ الذي هو عابدٌ على (عباد)[1]، وفي هذا التّعبير إظهارٌ لكرامةِ الخَضِر ومكانته في مقامِ العبادة لله، فالعبوديّةُ: إظهارُ التّذلّل، والعبادةُ أبلغُ منها؛ لأنّها غايةُ التّذلّل، ولا يستحقّها إلّا مَن له غايةُ الإفضال[2]، فأرادَ اللّهُ سبحانه أنْ يُكرّمَ الخَضِرَ؛ فآثر التّعبير بـ﴿عِبَادِنَآ﴾، ليدلّ على كثرةِ عبادته لله وغايةِ خضوعه.

التّعبير بالفعل الماضي ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾:

إيتاءُ الرّحمةِ مُتحقّقٌ للخَضِرِ بما يجعله مرحومًا وراحمًا

استعملَ القرآنُ لفظَ (الإيتاء) بصيغةِ الماضي ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾، مع أنّ عطاءَ النّبوّة والرّحمةِ العامّة مستمرٌّ للخَضِرِ؛ ليُدلّلَ على أنّ إيتاءَ الخَضِرِ للنّبوّة والرّحمة العامّة قد تمّ وانتهى، وأنّه لا رجعةَ فيه ولا تبديلَ ولا تغيير.

وهذا فيه زيادةُ اطمئنانٍ لموسى ﷺ بأنّه سيُسلّمُ لرجلٍ معصوم آتاه اللّهُ النّبوّة والرحمة، وهو مُتحقّقٌ بها، والمعنى: "أيْ: صارَ مرحومًا من قبلنا بتلكَ الرحمة التي خصصناه بها من عندنا، فيكون الخَضِرُ بتلك الرحمة مرحومًا، ويكون بها راحمًا على عبادنا"[3].

بلاغة إسناد الفعل إلى ضمير العظمة في ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾:

الرّحمةُ من العظيمِ لا تكونُ إلّا عظيمة

الضّمير (نا) في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ يرجعُ إلى الله سبحانه، وقد جاءَ بصيغةِ الجمع ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾؛ أيْ: آتيناه بعظمتنا؛ ليُشعرَ بعظمةِ الله، ويُفيدَ التّأكيدَ على أهميّة المضمون، وهو عطاءُ الرّحمة، وبيان عظمته وهي النّبوّة؛ فعطاءُ العظيمِ لا يكون إلا عظيمًا.

(1) الرّاغب، المُفردات، ص: 543.
(2) الراغب، المُفردات، ص: 542.
(3) القُشيْريّ، لطائف الإشارات: 2/ 407.

المُراد بلفظ ﴿رَحْمَةً﴾ وغرض تنكيرها:

المُرادُ بالرحمة في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ الوحيُ والنّبوةُ كما يُشعِرُ به تنكيرُ الرّحمة لتعظيمها واختصاصها بجنابِ الكبرياء، ولكون الرّحمةِ جاءتْ في القرآن في مواضع عديدة بمعنى النّبوّة، منها: قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزّخرف: 32]، وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [القصص: 46]، وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: 86].

من فضلِ اللهِ على العبدِ الصّالحِ اختصاصُه برحمةِ اللهِ المُعْدَقة

معنى ﴿مِّنْ﴾ وسرُّ الإضافة في قوله ﴿عِندِنَا﴾:

﴿مِّنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ ابتدائيّةٌ، و(عند) في حقيقته اسم مكان قريب، ويُستعملُ مجازًا في اختصاصِ المُضافِ إليه بموصوفها، والمعنى: آتيناه رحمةً صدرتْ من مكان القُرْب؛ أي: الشّرف، وهو قُربُ تشريفٍ بالانتسابِ إلى الله، وذلك أنّ ما أوتيه من الولايةِ أو النّبوّة رحمةٌ عزيزة، فكأنّها ممّا يُدّخر عند الله في مكان القُرْبِ التّشريفيّ من الله، فلا يُعطى إلا للمُصطَفَيْن[1]؛ أي إنّها رحمةٌ ممّا لم يجرِ على قوانينِ العادات، غير أنّه ليس بمستغربٍ عند أهلِ الاصطفاء، وهذا يتوافقُ مع عادةِ القرآنِ في استعمالِ الرّحمةِ مع العنديّة ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾؛ إذ هي خاصّة لا يستعملها إلّا مع المؤمنين، كما في هذه الآية، وفي قوله كذلك في حقّ نوح عليه السلام: ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [هود: 28]، وقوله في حقّ أيوب: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: 84]، بخلاف قوله: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [يس: 44]؛ فهي عامّة يستعملها مع المؤمن والكافر، قال تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا

في العنديّة الإلهيّة قربُ تشريفٍ وتعظيمٍ بالانتسابِ إلى الله العظيم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 369.

رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ [يس: 43 - 44]، وقوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [فصلت: 50].

وفي إضافة (عند) لضميرِ العظمة (نا) ﴿عِندِنَا﴾ إفادةُ تعظيمِ هذه الرحمةِ الصادرةِ من العظيم سبحانه.

سرُّ العطف بالواو في جملة ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾:

عَطَفَ البيانُ القرآنيُّ قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾ على قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾؛ لأنّه عطاءٌ آخر خصَّ اللّهُ به الخَضِرَ عليه السلام، فقد آتاه اللّهُ الرّحمةَ (النّبوّة) وعلّمه علمَ الغيوب، وفي هذا العطفِ مزيدُ تشريفٍ وتكريمٍ له، حيث أوتي العلمَ إضافةً إلى النّبوّة؛ فاستحقَّ بذلك أنْ يكون مُعلِّمًا، وأنْ يطلبَ منه موسى عليه السلام أنْ يتّبعهُ ليتعلّمَ من هذا العلم الذي علّمه اللّه إيّاه.

صفاتُ العبدِ الصّالحِ العالِمِ الّذي يستحقُّ الاتّباع

بلاغة إسناد الفعل إلى ضمير العظمة في ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾:

الضّمير (نا) الذي جاءَ بصيغةِ الجمع في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ يرجعُ إلى اللّه تعالى؛ ليُشعرَ بعظمةِ اللّه؛ أيْ: علّمناه بعظمتنا، بما يُفيد التّأكيدَ على أهميّةِ هذا المضمون؛ وهو اختصاصُ الخَضِرِ بعلمٍ غيبيٍّ لا يعلمه موسى، كما يُفيد المبالغةَ في التّنبيه والاهتمام بهذا العلمِ وتعظيمه؛ إذ هو من العظيم سبحانه، وهذا فيه تعليلٌ لاتّباعِ موسى له وتعلّمه منه، وطمئنةٌ لموسى حتى يُسلّمَ له مهما رأى من غرائبَ تخالفُ ظاهرَ الشّرع.

إسنادُ علمِ الخَضِرِ إلى عظمةِ اللّه مُشعرٌ بعظمةِ العِلْمِ

معنى ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ في سياق الآية الكريمة:

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ابتدائيةٌ، و(لدن) حقيقته اسمُ مكانٍ قريب، ويُستعملُ مجازًا في اختصاصِ المُضافِ إليه بموصوفها، وإلّا فالظرفيّةُ الحقيقيةُ مستحيلةٌ في جانب الباري تعالى[1].

ما أُعطيه الخَضِرُ من العلمِ اللّدنّي لا يُعطى إلّا للمصطفين الأخيار

(1) السّمين الحلبي، عُمدة الحُفّاظ: 4/ 20.

والمعنى: علّمناه علمًا صدرَ من مكانِ القُرْب؛ أي: الشرف؛ وهو قربُ تشريفٍ بالانتسابِ إلى الله، وذلك أنّ ما أُعطيه من العلمِ اللّدنّي علمٌ عزيز، فكأنّه ممّا يُدّخر عند الله في مكانِ القُرب التّشريفيّ من الله فلا يُعطى إلّا للمُصطَفيْن، إذ هو الإعلامُ بطريقِ الوحي[1].

وقد وردتْ كلمةُ ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ في القرآن في سبعَ عشرة آية؛ كلّها جاءتْ في سياقِ الرّحمة، واللّينِ، والهبةِ، والإيتاءِ، والعطاءِ الخاصّ.

سرّ (عند) مع الرّحمة و(لدن) مع العلم في الآية:

العلمُ اللّدنّي أشرفُ الأشياءِ أتى معه بالظّرفِ الأخصِّ تنبيهًا على شَرَفِه

(عند) و(لدن) كلاهما حقيقته اسم مكان قريب، ويدلّ استعمالهما في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، على قُربِ تشريفٍ للخَضِرِ بالانتسابِ إلى الله، ولكنْ في استعمالِ (عند) مع إيتاءِ الرّحمة و(لدن) مع إعطاءِ العلم حِكَمٌ؛ منها: أنّ (لدن) أقربُ من (عند)، تقول: عندي إبلٌ؛ لكن لا تقول: لدُنّي إبلٌ، فالفرقُ بين (عند) و(لدن) هو في مسافة القُرب من المُتكلِّم، كما أنّ (لدن) يستدعي حضورًا[2]، "وقال بعضهم: إنّ (عند) في لسان العرب لما ظهر، و(لدن) لما بطن، فيكون المُرادُ بالرحمة ما ظهر من كراماته، وبالعلم الباطن الخَفيِّ المعلوم قطعًا بأنّه خاصٌ"[3]، ولهذا لَمّا كان العلمُ المقصودُ هنا هو علمٌ لَدُنّيٌ غيبيٌّ خاصٌّ بالله تعالى، وقد اختصّ به العبدَ الصالح دون موسى؛ إذْ أوحاه إليه وعلَّمه إيّاه، عبَّر معه بـ (لدن)، ولَمّا كان العلمُ هذا أشرفَ الأشياءِ؛ أتى معه بالظّرفِ الأخصّ تنبيهًا على شَرَفِه[4]، ولهذه الخصوصيّة ذاتها قدّمه على المفعول به في الآية ﴿عِلْمًا﴾ خلافًا لأصلِ نظمِ الجملة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 369.
(2) السّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ: 4/ 20.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 633.
(4) السّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ: 4/ 20.

بينما الرحمة في الآية سواء أكانت بمعنى النبوّة أم الرحمة العامة؛ فإنّها ليستْ خاصّةً بالخَضِر، بل يدخل فيها موسى وغيره من الأنبياء أو البشر.

ومن حِكَم المخالفة أيضًا بين ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ وبين ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ التّفنّن تفاديًا من إعادةِ الكلمة[1].

سرّ تقديم الجارّ والمجرور ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ على المفعول به ﴿عِلْمًا﴾:

في التّقديمِ بيانٌ لاختصاصِ هذا العلمِ باللهِ؛ فلا يتيسّر إلّا لمَن منحهُ إيّاه

قدّم البيانُ الإلهيّ الجارّ والمجرور ﴿مِن لَّدُنَّا﴾، في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾؛ لإفادةِ الاختصاص، والمعنى: وعلّمناه من لدُنّا لا من لدن غيرنا علمًا خاصًّا، لا يتيسّر إلا لمَن نريدُ تيسيره ومنحه له[2]؛ أيْ: علمًا "ممّا يختصّ بنا، ولا يُعلم بواسطة معلّم من أهلِ الظّاهر"[3]، ولمناسبةِ معنى (لدن) في اللّغة التي تفيدُ زيادةَ القُربِ، والمقصودُ هنا: القرب المعنويّ، ولزيادةِ تنبيه موسى للاهتمامِ بما يحمله الخَضِرُ من هذا العلم.

المُراد بالعلم وغرض تنكيره في قوله ﴿عِلْمًا﴾:

العلمُ الّدنيُّ لا يـدرك كُنهَهُ إلّا مَن فتح الله به عليه

العلمُ من لَدُن الله في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ هو الإعلامُ بطريقِ الوحي، وهو العلمُ الخاصّ الذي لا يُعْلَمُ إلّا من جهته ﷻ؛ أيْ: علمُ الإخبارِ بالغيوبِ وأسرارِ العلوم الخفيّة، فقد ورد في الحديث عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: "إنّ الخَضِرَ عليه السلام قال: يا موسى إنّي على علمٍ من علم الله تعالى علّمَنيه لا تَعلمه أنت، وأنت على علمٍ من علم الله تعالى علّمَكه اللهُ سبحانه لا أعلمُه"[4]، وأفاد تنكيرُ لفظة العلم هنا تعظيمَه وتفخيمَه؛ لأنّه علمٌ لَدُنّيٌّ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 369.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 551.

(3) الصّاوي، حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين، ص: 1114، وابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 12/ 529.

(4) البخاريُّ، صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: 60]، رقم 4448.

فائدةُ الجناس في ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾ و﴿عِلْمًا﴾:

التّأكيدُ على عِظمِ العِلمِ الّذي وهبه الله للخَضِر واختصه به

بين اللّفظيْن ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾ و﴿عِلْمًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ جناسُ اشتقاقٍ؛ إذْ يرجعُ اللّفظان إلى جَذرٍ لغويٍّ واحدٍ هو (علم)، إلّا أنّ ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾ أتى فعلًا بصيغةِ الماضي، و﴿عِلْمًا﴾ أتى اسمًا، ممّا يعطي جماليةً في السمعِ، ويُحقّقُ عذوبةً وترنّما يحملُ السامعَ على الإصغاءِ، ويزيدُ المعنى وضوحًا، ويساعدُ على ترسُّخه في الذّهن، ويؤكّد على أهمّيّةِ العلمِ الذي وهبه اللّه للخَضِر واختصه به، وأنّه علمٌ عظيم؛ إذ هو العلم اللّدنّي.

سرُّ تقديم (الرّحمة) على (العلم):

تكامل النّبوّةِ والرّحمة ضروريٌّ لإبراز العِلم من لدن الله لصفوة البشر

قدّم البيانُ القرآنيُّ الرّحمة على العِلم في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، ولم يَقُل: (علّمناه من لَدُنّا علمًا وآتيناه رحمةً من عندنا)؛ اهتمامًا بالمُقدَّم وهو الرّحمة؛ إذ لا قيمةَ للعلمِ بدون الرحمة؛ لأنّه سيكونُ وبالًا على صاحبه وعلى الآخرين، ولأنّ أحدَ أسبابِ طلبِ العلم هو رحمةُ الإنسانِ بنفسه من أنْ يتركها فريسةً للجهلِ والشّيطانِ، ورحمته بالآخرين من أنْ يتركهم للجهلِ والضّعف.

واحتراسًا لما يأتي من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾، وقتْل الخَضِر للغلام يوهمُ اتّصافه بالغلظةِ والجفاءِ وعدمِ الرحمة، فاحترسَ من ذلك بأنّه متّصف بكمالِ الرحمة، وما فعلَ ذلك إلا بأمرٍ من اللّهِ، إمّا بوحيٍ إنْ كان نبيًّا على لسان المَلَك، أو بأنّها أمرٌ من اللّه تعالى إنْ كان وليًا[1].

وأيضًا إذا كان المقصودُ بالرحمة التي أُتيها النبوّة ففي تقديمها إشارةٌ إلى أنّ النّبوّة اصطفاءٌ من اللّه وليستْ كسبيَّةً نتيجةَ العلم،

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 95.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: 113].

سرُّ التّعبير بالإيتاءِ مع الرَّحمة، وبالعلم مع العلم:

النبوّةُ اصطفاءٌ ومحضُ تفضُّلٍ من اللهِ، والعلمُ تعلّم ودِراس

عبّر البيانُ القرآنيُّ بالإيتاء في جانب الرَّحمة فقال: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾، وبالعلم في جانب العلم فقال: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾؛ لأنّ النّبوّة - على تفسير الرّحمة بها - اصطفاءٌ من الله وليستْ كسبيّةً نتيجةَ العلم، ولا يدَ للبشرِ فيها، وإنّما هي محضُ تفضّلٍ من الله سبحانه، ولا تتوقّفُ على قبولِ النّبيّ لها، وهذا يناسبُ لفظ الإيتاء لغة؛ فإنّه لا مُطاوع له، فهو لا يتوقّف على قبول[1]، بينما العلمُ يناسبه لفظُ التعلّم؛ لأنّ العلمَ يحتاجُ إلى مُعلِّمٍ، وله مطاوع، يُقال: علّمتُه فتعلّم، ويحتاجُ إلى سعيٍ وتعلُّم، ولذلك حضّ الشارعُ على العلمِ؛ ولم يحضّ على النّبوّة، قال ﷺ: "وإنّما العلم بالتّعلّم"[2].

سرُّ فصل جملة ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ﴾:

الاستئنافُ البيانيّ يحملُ طلبَ موسى اتّباعَ الخَضِر

فَصَل البيانُ الإلهيّ بين قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، ولم يأتِ بالعاطف؛ لما بينهما من شبه كمال اتّصال؛ إذ إنّ قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ﴾ استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشَأ مِن السّياقِ؛ وذلك أنّه بعد أنِ ارتدَّ موسى والفتى على آثارهما قصصًا، ووجدا العبد الصالح كأنَّه قيل: فماذا جَرى بينَهما من الكلام؟ فقيل: قال له موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾[3].

ولكونِ الآيةِ جارية على طريقةِ المُحاوَرات، وهي ابتداءُ محاورة[4]؛ أيْ إنَّ قولَ موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ ابتداءُ حوارٍ مع الخَضِر عليه السلام، الذي أجابه بقوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾، ولذا لم يعطفْ

(1) الزّبيدي، تاج العروس: (أتى).
(2) أخرجه البخاري مُعلّقًا بصيغة الجزم قبل حديث (68) كتاب: العلم، باب: العلم قبل القول والعمل.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 234.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 369.

بالفاءِ أو الواو؛ كراهيةَ تكريرِ العاطفِ بتكريرِ أفعالِ القولِ، فإنّ المحاورةَ تقتضي الإعادةَ في الغالبِ[1].

إيجاز الحذف في جملة ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ﴾:

قيمة جماليّة سرد القصّة بالتّركيز على المَشاهِدِ البارزةِ فيها

في الكلامِ محذوفٌ تقديرُه: (فلَمّا التَقيا وتَراجَعا الكلامَ) ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾[2]، وهذا الحذفُ للإيجازِ الذي تتميّزُ به القصّةُ القرآنية في عدمِ ذِكْرِ التَّفصيلات إلا لفائدة؛ وذلك للتركيزِ على المشاهدِ البارزةِ في القصّة، وترك ما بينهما من فجواتٍ تدلُّ عليها روابطُ بدهية؛ ليُفْسَحَ المجالُ للخيالِ حتى يملأها بما يُعطي قيمةً جماليّةً للقصّة كانتْ ستضعفُ لو شُغِلَ الذّهنُ بعرضِ تلك الفجوات[3].

فائدة التّعبير بالفعل الماضي ﴿قَالَ﴾:

القولُ حدث في الزّمنِ الماضي ولم يتكرّرْ

التّعبيرُ بالفعل الماضي ﴿قَالَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾؛ للدّلالةِ على أنَّ فعلَ القولِ المُتضمّنِ طلبَ الاتّباع قد وقَعَ من موسى؛ إذ هو حكايةٌ عن أحداثٍ مضتْ، وللإشارةِ إلى أنّ هذا القول ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ لم يتكرّر من موسى، ولمناسبةِ صيغة الفعلِ الماضي التي تكرّرت في السياق: ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ﴾.

معنى اللّام ومرجع الضّمير في قوله ﴿لَهُۥ﴾:

في الـلّامِ تبليغُ موسى للخَضِرِ بإرادةِ اتّباعه طلبًا لعلمِه

اللامُ في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ﴾ لامُ التّبليغ، لكونها جارّة لاسم السامع، وهي هنا ضميرٌ يعودُ على العبدِ الصالح، ويتمُّ بها تعديةُ فعلِ القولِ إلى المخاطبِ بالقول؛ أيْ: بلّغ موسى الخَضِر بأنَّهُ يريد اتّباعه ليتعلّم منه ممّا عُلِّم رُشدًا.

وفي التّعبيرِ بالضميرِ وعدمِ التّصريح باسم العبد الصالح

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 401.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 205.
(3) البغا، الواضح في علوم القرآن، ص: 195.

اختصارٌ في الكلام؛ إذ قد سبقَ ذِكْره في الآية السابقة ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾؛ وتفخيمٌ لشأنِ الخَضِر.

سرُّ تقديم الجارِّ والمجرور ﴿لَهُۥ﴾ في السّياق:

اهتمام موسى بالعبدِ الصّالحِ لأنّه سيتّبعه ليتعلّم منه

قدّم البيانُ الإلهيُّ الجارَّ والمجرور ﴿لَهُۥ﴾ على الفاعل، فقال: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ﴾، ولم يَقُلْ: (قال موسى له)؛ اهتمامًا بالمُقدَّم (وهو العبد الصالح)؛ إذ التركيزُ في سياقِ الكلام عليه؛ لأنَّه سيكون معلّمًا لرسولٍ من أولي العزم، ولإفادةِ الاختصاص؛ أيْ: خَصَّ موسى الخَضِرَ دون غيره بطلبِ اتّباعه للتعلّم منه.

المُراد بالاستفهام من قوله ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾:

الاستفهامُ بيانُ إرادةِ الاتّباعِ في أبلغِ أدبٍ ولطفٍ

الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ مُستعمَلٌ في العَرْضِ؛ بقَرينةِ أنَّه استِفْهامٌ عن عمَلِ نفسِ المُستفهِم[1]، وهو بذلك سؤالُ تلطّفٍ، لا على وجه الإلزام والإجبار، وإنّما استئذانٌ منه في اتّباعه له على وجه التعلّم[2]، وهكذا ينبغي أنْ يكون سؤالُ المُتعلّم من العالم[3]، وفيه دلالةٌ على مبالغةٍ عظيمةٍ في تواضعِ موسى عليه السلام؛ إذ إنّه استأذنَ في إثباتِ التّبعيّةِ للخَضِر؛ فكأنّه قال: هل تأذنُ لي أنْ أجعلَ نفسي تبعًا لك؟[4]، ولم يُرِدْ أنْ يظهرَ بمظهرِ المقحمِ لنفسه المتهجّم بها[5]، وهذا هو اللائقُ به؛ لأنَّ كلَّ من كانتْ إحاطته بالعلوم أكثرَ كان علْمُه بما فيها من البهجة والسّعادة أكثر، فكان طلبه لها أشدّ، وكان تعظيمه لأربابِ العلمِ أكملَ وأشدّ[6]، وإذا كان هذا حالَ موسى عليه السلام – وهو من أولي العزم الذي كلّمه الله ﷻ من غير واسطةٍ وخصّه بالمعجزات القاهرة الباهرة – فكيف يكون حالُ عمومِ الناس؟!

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 369.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 234.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 94.
(4) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 483.
(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4559.
(6) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 484.

بلاغة استعمال لفظ الاتّباع في ﴿أَتَّبِعُكَ﴾:

المتعلّمُ تبعٌ للعالِمِ وإنْ تفاوتتِ المراتب

عبّر البيانُ القرآنيّ بالفعل ﴿أَتَّبِعُكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾، ولم يَقُلْ: (هل أصحبك)، وإنْ كان الاتّباع هنا مجازًا في المصاحبة[1]؛ لمناسبة لفظ الاتّباع للسّياق والمقام؛ إذ أصلُ مادّة (تبع) في اللّغة التُّلُوُّ والقَفْوُ[2]، وتَبِعَ القومَ: مشى خلفهم، وتَبِعَ فلانًا: لحقه، أو تلاه، وسارَ في إثْرِه واقتفاهُ[3]، وهذا يناسبُ سياقَ الآيات التي وعدَ فيها موسى أنْ يتّبعَ الخَضِرَ ولا يعصي له أمرًا، قال تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾، ويناسبُ المقام؛ فالرّحلةُ كلُّها بما تضمّنته من حرصِ موسى على لقاءِ الخَضِر ولو سار أزمنة كثيرة، ومن بحثه وجهده وتعبه وسرعةِ ارتداده لمّا ظهرتْ له أمارةُ اللقاءِ هي رحلةٌ متابعةٍ من موسى للخَضِر طلبًا لعلمه؛ لأنّ "مَن يتعلّم من آخر علمًا فإنّه يتّبعه حيث يذهب هو في حوائجه، لا يُؤمر بالمقامِ حيث يُقيم المتعلّم"[4].

ولِما في هذا التّعبير من مراعاةٍ للُّطفِ والأدبِ والتّواضعِ من موسى عليه السلام؛ بأنْ جعلَ نفسه تبعًا للخَضِر[5]، ومن دلالةٍ على شدّةِ حرصِ موسى على التّعلّم، أو المبالغة في الاتّباع والاجتهاد؛ لأنّ المتابعة عبارةٌ عن الإتيانِ بمثْلِ فعْلِ الغيرِ لمجرّد كونه آتيًا به، والمعنى: أتّبعكَ اتّباعًا بليغًا حيث توجّهتَ[6]، وهذا يدلُّ على أنّ المُتعلّمَ يجبُ عليه في أوّل الأمرِ التّسليم للمُعلّم وترك المنازعةِ والاعتراض[7]، وعلى هذا فالاتّباع مَجازٌ عن الطّاعة على سبيل الاستعارة التّصريحيّة بجامع الملازمة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 369.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (تبع).
(3) الجوهريّ، الصّحاح، ومعجم اللغة العربية المعاصرة: (تبع).
(4) الماتُريديّ، تأويلات أهل السُّنَّة: 7/ 195.
(5) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 483.
(6) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 12/ 107.
(7) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 483.

معنى حرف الجرّ ﴿عَلَىٰٓ﴾ في السّياق:

إبرازُ رغبةِ موسى في التّمكّنِ من اتّباعِ الخَضِرِ للتّعلّم

﴿عَلَىٰٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ مُستعمَلةٌ في معنى الاشْتِراط؛ لأنَّهُ استِعلاءٌ مَجازيٌّ، جعل الاتِّباع كأنَّه مُستعمَلٌ فوقَ التَّعليم؛ لشِدَّةِ المقارَنةِ بينَهما، فصيغَةُ: أَفْعَلُ كذا على كذا، من صيَغِ الالتزام والتَّعاقُدِ[1]، وهذا يدلّ على أهميّة المتابعة وإلزام النفس بها؛ إذ بدونها لا يُستفاد من العلم، وفيه أيضًا إشارةٌ إلى أنّ حقّ المعلّم على المتعلّم اتّباعُه والاقتداءُ به[2]، ويُؤخذُ من الآيةِ جوازُ التعاقد على تعليم القرآن والعلم، وفيه أنّه التزامٌ يجبُ الوفاء به[3].

نكتةُ تقديمِ إثبات الاتّباع على طلب التّعليم:

أهميّة المتابعةِ المُنيفة لمَن أرادَ أنْ يترقّى في درجات العلم الشّريفة

قدّم البيانُ القرآنيُّ إثباتَ الاتّباع على طلبِ التّعليم في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾، ولم يَقُلْ: (هل تُعلّمني على أنْ أتبعك؟)؛ أي بدأَ موسى بطلبِ أنْ يكون تبعًا للخَضِرِ أوّلًا، ثم طلبَ ثانيًا أنْ يُعلّمه[4]، لأنّ المتابعةَ هي من مُقدّماتِ السلوكِ في طريقِ العلم، وأحدِ أسبابِ تحصيله، وفي ذلك إشارةٌ إلى أهميّة المتابعةِ والملازمةِ والثّباتِ لمَن أرادَ أنْ يترقّى في درجاتِ العلم.

سِرُّ مجيء ﴿أَن﴾ في قوله ﴿أَن تُعَلِّمَنِ﴾:

إذا كان الغرضُ من المتابعةِ العلمَ وحده كان النّفع حاصلًا وأكيدًا

﴿أَن﴾ في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ حرفٌ مصدريٌّ يُفيدُ التّوكيدَ؛ والمصدرُ المُؤوّل في محلّ جرٍ بـ﴿عَلَىٰٓ﴾، تقديره: "تعليمي"، والمعنى: هل أتّبعكَ على شرطِ تعليمي ممّا عُلمتَ رشدًا؟ أيْ: ليس له غرضٌ آخر غيرَ طلبِ العِلْم، وفي هذا دلالةٌ على صدقِ طلبه وإخلاصه فيه؛ فإنّه لم يطلبْ في تلك المتابعةِ شيئًا سوى التعليم، كأنّه قال: لا أطلبُ منك على هذه المتابعةِ المالَ والجاهَ، ولا غرضَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 370.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 370.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 370.
(4) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 484.

لي إلا طلب العلم[1]، وكذلك للإشارةِ إلى تواضعِ موسى في طلبه؛ بأنْ طلبَ مجرّد حدوثِ العِلْمِ لا أنْ يأخذَ عينَ عِلْمه؛ لأنّ الأصلَ في مصدر ﴿أَن﴾ أنْ يكونَ لإرادةِ مجرّد الحدثِ وهو التعلّم هنا، وليس حدثًا مخصوصًا كما يُفيدُ مصدر (ما).

معنى ﴿مِمَّا﴾ وبيان تركيبها في السّياق:

تركيبُ ﴿مِمَّا﴾ هو: مِنْ ما، و(من) إمّا ابتدائيّةٌ[2]؛ والمعنى: تُعلّمني من المعلومِ ذي الرّشدِ الذي علَّمكه اللّهُ، أو: للتّبعيض؛ والمعنى: أنّ موسى ﷺ طلبَ من الخَضِر تعليمَه بعضَ ما علّمه الله، وهذا مُشعرٌ بالتّواضع؛ كأنّه يقول له: لا أطلبُ منكَ أنْ تجعلني مُساويًا لك في العلم، ولذا لم يَقُلْ: (على أنْ تُعلّمن ما عُلِّمت)؛ بل أطلبُ منك أنْ تُعطيني جزءًا من أجزاءِ علمكَ، كما يطلبُ الفقير من الغنيِّ أنْ يدفعَ إليه جزءًا من أجزاءِ ماله[3].

طلبُ موسى الأخذَ عن الخَضِر مُشعِرٌ بالتّواضعِ والتّلطّفِ في السّؤال

وفيها كذلك زيادةُ تلطّفِ موسى ﷺ في سؤاله بالإشارةِ إلى أنَّه لا يطلبُ جميعَ ما عنده ليطولَ عليه الزمان؛ بل طلب جوامع منه يسترشد بها إلى باقيه[4].

وأمّا (ما) فهي اسم موصول بمعنى (الذي)، يدلّ على العلمِ الذي علّمه اللّهُ للخَضِرِ وخصّه به، وفي هذا دلالةٌ على أنّ موسى طلبَ منه أنْ يعامله بمثلِ ما عامله الله به، وأنْ يكونَ إنعامه عليه عند هذا التّعليم شبيهًا بإنعامِ الله تعالى على الخَضِر في هذا التعليم[5]، كقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّـهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77].

(1) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 484، والصّاوي، حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين، ص: 1115.
(2) القونوي وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 12/ 128.
(3) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 483.
(4) البِقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 12/ 108.
(5) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 483.

سرّ تقديم الجارّ والمجرور ﴿مِمَّا﴾ على ﴿رُشْدًا﴾:

الاهتمامُ بالعِلْمِ الّـذي خُـصَّ به الخَضِرُ وتفخيمُ شأنه

قدّم البيانُ القرآنيُّ الجارَّ والمجرور ﴿مِمَّا﴾ على المفعولِ الثاني ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾، ولم يَقُلْ: (تعلمن رشدًا ممّا عُلِّمت)؛ لمزيدِ اهتمام موسى بهذا العِلْم الذي علَّمه الله للخَضِرِ والعنايةِ به، وتفخيم شأنه؛ لأنّ موسى ﷺ حريصٌ على هذا العِلْم، ويعلمُ أنّه سيكونُ رُشدًا.

سرُّ بناء الفعل ﴿عُلِّمْتَ﴾ للمفعول:

من كـمالِ أدبِ مـوسى نسبةُ الـعِـلْـمِ إلى صاحبِ العلمِ المُطْلَق

عبَّر البيانُ الإلهيُّ بصيغةِ المبنيِّ للمفعولِ ﴿عُلِّمْتَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾، ولم يَقُلْ: (مِمّا عَلِمتَ)؛ لأنّ الفاعل معلومٌ وهو الله سبحانه[1]؛ إذ لا أحدَ يملكُ هذا العِلم إلا هو عالم الغيب والشهادة ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: 65]، وهذا يشيرُ إلى سهولةِ كلّ أمرٍ على الله ﷻ[2]، ولأنّ المجهول في اللفظِ معلومٌ في الحقيقة، فقد سبق قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[3]، كما أنّ في هذا التعبير زيادةُ أدبٍ مع الله سبحانه، باعترافِ وإقرارِ موسى ﷺ بأنّ اللهَ هو صاحبُ هذا العِلْم الغيبيّ، وأنَّه هو الذي علّمه للخَضِر[4]، فأدبُ موسى ﷺ مع مَنْ يتعلّم منه لم يُنْسه أدبه مع الله سبحانه.

المُراد بـ ﴿رُشْدًا﴾ وإعرابها:

في تعدّدِ إعرابِ اللّفظ ثـراءٌ في المعنى وتلوّنٌ في الدّلالة

يحتمل أنْ يكون الرُّشْدُ راجعًا إلى الخَضِرِ؛ والمعنى: أيْ: ممّا عَلَّمَكَ اللهُ وأرشدكَ به، أو أنْ يرجع ذلك إلى موسى، ويكون المعنى على أنْ تُعَلّمني وتُرشِدني ممّا عُلِّمتَ[5].

(1) البِقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 12/ 108.
(2) البِقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 12/ 108.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4559.
(4) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 483.
(5) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 483.

وإعرابُ ﴿رُشْدًا﴾: إمّا مفعولٌ به لـ﴿تُعَلِّمَنِ﴾، أو علةٌ لـ (أتّبعُك)؛ أيْ: مفعولٌ لأجله؛ أيْ: لأجلِ الرّشاد، أو مصدرٌ بإضمارِ فعله في موضعِ نصبٍ على الحال[1].

وهذا العِلمُ الذي سألَ موسى تعلّمه هو من العلم النافعِ الذي لا يتعلّق بالتشريع للأمّة الإسرائيليّة، فإنّ موسى مُستغنٍ في علمِ التشريع عن الازديادِ إلّا من وحي الله إليه مباشرة، والله أرسله لذلك، وإنّما رامَ موسى أن يعلم شيئًا من العلم الذي خصَّ الله به الخَضِر؛ لأنَّ الازديادَ من العلومِ النافعةِ هو مِنَ الخير، وهذا العلمُ الذي أوتيه الخَضِرُ هو علمُ سياسةٍ خاصَّةٍ غيرِ عامَّةٍ تتعلّق بمُعَيَّنينَ لجلبِ مصلحةٍ أو دفعِ مفسدةٍ بحسبِ ما تهيّئه الحوادثُ والأكوان، لا بحَسَبِ ما يُناسِبُ المصلحة العامَّةَ والتّشريع[2].

سرّ التّعبير والتّنكير للفظ ﴿رُشْدًا﴾:

العِلمُ المطلوب هو علمُ الهدايةِ إلى الطّريقِ الأَسَدِّ لا مطلق الهداية

عبّر البيانُ القرآنيُّ بلفظ ﴿رُشْدًا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ دون غيره، فلم يَقُلْ مثلًا: (مما عُلِّمتَ علمًا أو هُدىً)؛ لكونه أوسعَ دلالةً من الهُدَى؛ فهو ليس مُجرّدَ هدايةٍ؛ إنّما هو هدايةٌ واستقامة[3]، وثباتٌ على الطّريقِ الحقِّ مع تصلّبٍ فيه[4]، يُقال: الرُّشْد والرَّشَد والرَّشاد: الهدايةُ والاستقامة؛ أيْ: فالرّشدُ هدايةٌ إلى الطريقِ الأَسَدِّ الصحيحِ الصائبِ الأَقْصَدِ، لا مطلق الهداية إلى طريقٍ ما، أمّا الهداية في أصلها فهي الدلالةُ المطلقة[5].

ولكونه أنسبَ للمقام؛ سواء لحالِ موسى ﷺ؛ فهو لم يطلبْ مجرّدَ البيانِ والدّلالة على الحقِّ، الذي هو معنى الهداية في اللغة[6]؛

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 234، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 631.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 371.
(3) السّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ: 2/ 93.
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (رشد).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصَّل: (رشد).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (هدى).

وإنمّا طلبَ إصابةَ عينِ الصواب، والصَّلاحَ في الأمر، وكونه على الوجه الصحيح، والاستقامةَ على الطريقِ الحقِّ، وهذه هي المعاني اللّغويّة للرّشد[1]، أو سواء للعلمِ الذي سيتعلّمه؛ وهو العلم اللّدنّيّ المُختصّ بعلمِ حقائق الأشياء وبواطنها.

وجاء التعبيرِ بلفظ ﴿رُشْدًا﴾ نكرة ليشمل العلمَ وثمرته ومقصده الصحيح، وفي هذا إشارةٌ إلى أنّ العلمَ النافعَ هو العلمُ المُرشِد إلى الخير؛ فكلّ علمٍ يكون فيه رُشدٌ وهدايةٌ لطرقِ الخير، وتحذيرٌ عن طريقِ الشّرِّ أو وسيلة لذلك؛ فإنّه من العلم النافع، وما سوى ذلك فإمّا أنْ يكونَ ضارًّا، أو ليس فيه فائدة[2]؛ أيْ لو لم يحصلْ له في العلم الهداية والإرشاد لكان في الغواية والضلال[3]، وأفاد تنكير الرُّشدِ التّعظيمَ والتّفخيمَ لشأنه.

توجيهُ القراءات الواردة في قوله ﴿رُشْدًا﴾:

التّسكينُ لمناسبةِ السّياقِ القريب، والفتحُ إلحاقًا بالنّظير

قرأ أبو عمرو ويعقوب: ﴿رَشَدًا﴾ بفتح الرّاء والشّين، والباقون ﴿رُشْدًا﴾ بضم الرّاء وتسكين الشّين[4]، وجمهور أهلِ اللّغة على أنّهما لغتان في معنىً واحد، كالبُخْلِ والبَخَلِ، والسُّقْمِ والسَّقَمِ[5]، والرُّشْد والرَّشَد: خلافُ الغَيِّ، ونقيضُ الضّلال[6].

قال ابن الجزري: "ويرى الإمامُ أبو عمرو ابن العلاء أنّ الرُّشْد بالضّمّ هو الصلاحُ، والرَّشَد بالفتح هو العِلْم، وموسى ﷺ إنّما طَلَبَ منَ الخَضِر ﷺ العِلْمَ، وهذا في غايَة الحُسن، أَلا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: 6]كَيفَ أُجْمِعَ على ضمّه؟

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (رشد) وجبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصّل: (رشد).
(2) السّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 484.
(3) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 483.
(4) ابن الجزري، النّشر، تح: سويد: 4/ 2441.
(5) ابن جُزَيّ، التسهيل: 1/ 471.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رشد).

وقوله ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف: 10] و﴿لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف: 24] كيف أجمع على فتحه؟" ويرى ابن الجَزَريّ أنّ قراءة الفتح ﴿رَشَدًا﴾ جاءت لمناسبةِ رؤوسِ الآي وموازنتها لما قَبْلُ ولما بَعْدُ، نحو: ﴿عَجَبًا﴾، ﴿عَدَدًا﴾، ﴿أَحَدًا﴾، ﴿سَرَبًا﴾، ﴿سَبَبًا﴾، وأنّ قراءةَ ضمّ الرّاء وتسكين الشّين ﴿رُشْدًا﴾ جاءت لمناسبةِ ما وقعَ قبلها وبعدها من: ﴿عِلْمًا﴾، ﴿صَبْرًا﴾، ﴿خُبْرًا﴾، ﴿أَمْرًا﴾: أيْ: مَن سكّنَ فلِمناسبةِ السّياق، ومَن فتحَ فإلحاقًا بالنّظير[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العبد والرّجل:

كلُّ رجلٍ هو عبدٌ من عبادِ الله، وليس كلُّ عبدٍ رجلًا

هناك فرقٌ بين العبدِ والرّجل؛ إذ بينهما عمومٌ وخصوص، فالعبدُ عامّ والرّجل خاصٌّ، فكلُّ رجلٍ هو عبدٌ من عباد الله، ولكن ليس كلُّ عبدٍ رجلًا، وإيضاحُ ذلك:

أصلُ (عبد) يَدُلُّ على لينٍ وذُلٍّ، ومنه طريقٌ مُعبَّدٌ، وهو المَسْلوكُ المُذَلَّلُ[2]، وعَرّف اللغويّون العبدَ بأنّه الإنسان، حُرًّا كان أو رَقيقًا، يُذهَبُ بذلك إلى أنّه مَرْبوبٌ لباريه ﷻ، والعبدُ يُطلقُ أيضًا على المملوك، وهو خلافُ الحُرّ، والجمعُ (عبيد)، وأصلُ العُبوديَّةِ الخضوعُ والذّلُّ[3].

والرَّجُلُ خلافُ المرأة، وهو مختصٌّ بالذَّكَرِ من بني آدم[4]، ولا يُسمَّى الإنسانُ رجلًا إلّا إذا احتلم وشَبَّ[5]، وقد يكونُ الرَّجُلُ صِفَة، يَعْني به الشِّدَّةَ والكَمال[6]، وقيل: إنّه اسْمٌ مَأْخوذٌ من القوَّة، ولهذا يُقال في مدحِ الإنسان إنّه رجلٌ[7].

(1) ابن الجزري، النّشر، تح: سويد: 4/ 2442.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عبد).
(3) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (عبد).
(4) الجوهريّ، الصّحاح، والزَّبيديّ، تاج العروس: (رجل).
(5) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 3/ 41.
(6) ابن سيدَه، المُحكَم: (رجل).
(7) ابن الجَوْزيّ، نزهة الأعيُنِ النّواظر، ص: 326.

الرَّحمةُ والشَّفقة:

الرَّحْمَةُ عَطْفٌ ورأفةٌ وإحسانٌ ومَغْفِرَة، والشَّفقةُ رِقَّةٌ وعنايةٌ ونُصْحٌ مع خوفٍ وحُبٍّ

يتقارب لفظا (الرّحمة) و(الشّفقة) في دلالتهما اللّغويّة؛ إذ يشتركان في معنى الرّقّة، وقد يُستعمل أحدهما موضع الآخر، ومع هذا التقارب فإنّ لكلِّ لفظٍ ما يُميِّزه، ويتّضح ذلك من خلال الآتي:

أصلُ (رحم) يدلّ على الرّقةِ والعطفِ والرأفةِ[1]، والرَّحْمَةُ في بَني آدَمَ رِقَّةُ القَلْبِ وعَطْفُهُ، ورَحْمَةُ اللّه عَطْفُه وإحسانه ورِزْقُهُ، والرَّحْمَةُ المَغْفِرَةُ[2].

وأصلُ (شفق) يَدُلُّ على رِقَّةٍ في الشَّيْءِ[3]، والشَّفقةُ: رقَّة مِنْ نُصْحٍ أَوْ حُبّ يؤدّي إِلَى خَوْفٍ، تَقولُ: أَنا مُشْفِق عليْكَ أَيْ أَخاف، وأَشْفَقَ عليْهِ: حَذِرَ، وأَشْفَق مِنْهُ: جَزِع[4]، ولِيَ عليه شفقة: أي رحمة ورقّة وخوف من حلولِ المكروه به مع نصحٍ[5]، فالإشفاقُ عِنايَةٌ مخْتَلِطَةٌ بخَوْفٍ؛ لأَنَّ المُشْفِقَ يُحبُّ المُشْفَقَ عليهِ، ويخافُ ما يلحقه[6].

إذن، تتميّزُ الرحمةُ بمعنى الرقّة والعطف والرأفة والإحسان والإنعام والمغفرة للمرحوم، بينما تتميّز الشفقةُ بمعنى الرقَّة والعناية المختلطة بالخوف والنصح، ودافعه حبّ المُشْفِقِ للمُشْفَقِ عليهِ.

الرّشد والهدى:

الرّشدُ صلاحُ الأمرِ والهدايةُ إلى الطّريقِ المستقيم، والهدى بيانٌ ودلالةٌ بلطفٍ على المطلوب

يوجدُ تقاربٌ كبير بين لفظي (الرّشْد) و(الهدى)، ويُستعمل أحدُهما استعمالَ الآخر[7]، ويُعرّف أحدهما بالآخر، ومع هذا التقارب توجد بعض الملامح الدلاليّة التي يتميّز بها كلٌّ منهما عن الآخر، وذلك على النحو الآتي:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رحم).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (رحم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شفق).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (شفق).
(5) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (شفق).
(6) الراغب، المفردات: (شفق).
(7) الراغب، المفردات، ص: 354.

الرّشد: أصلُ (رشد) يدلّ على استقامةِ الطّريق، والرُّشْدُ والرَّشَدُ: خلافُ الغَيِّ[1]، وهو نقيضُ الضّلال، وأَرْشَدَه اللّهُ إلى الأمر: هداهُ، والرُشْد هو صلاحُ الأمرِ وكونه على الوجه الصحيح، وهو استقامةٌ على الطريق الحقّ مع تصلُّبٍ فيه[2]، فهو إصابةُ الصّواب[3]، وقيل: الرُّشد والرَّشد والرّشاد: الهدايةُ والاستقامة[4].

والهدى خِلافُ الضَّلالَةِ، وأصله هو التَّقَدُّمُ للْإِرْشادِ[5]، والهدايةُ: الرّشادُ والدّلالةُ بلطفٍ إلى ما يوصلُ إلى المطلوب، وهَداهُ الطريقَ: أرشدَه وعرّفه، وهَداهُ لهُ: دلّه عليه وبيّنه له، فالهُدى: البيان[6]، والهدى والهداية في اللّغة واحد، والاهتداءُ يختصُّ بما يتحرّاه الإنسانُ على طريقِ الاختيار، إمّا في الأمور الدُّنيويّة، أو الأُخرويّة[7].

إذن، يتميّزُ الرّشدُ بمعنى الصّلاح والدّلالة والهداية إلى الطريقِ الحقِّ مع تصلُّبٍ فيه، فالرّشد: إصابةُ الخير، ولا يكون إلّا إلى الشّيءِ المحبوب، بينما تتميّز الهداية: بمعنى الإرشاد والبيان، والدّلالة بلطفٍ إلى ما يوصل إلى المطلوب، وإلى الغايةِ المَرجوّة.

والحاصلُ أنَّ الرُّشد أخصُّ من الهُدى، فالرّشدُ هدايةٌ إلى الطريق الأَسَدِّ الصحيح الصائبِ الأقصد، لا مطلقَ الهداية إلى طريقٍ ما، أمّا الهداية في أصلها؛ فهي الدلالةُ المُطلَقة[8].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رشد).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (رشد).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصّل: (رشد).
(4) السّمين الحلبيّ، عُمدةُ الحُفّاظ: 2/ 93.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هدي).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (هدى).
(7) الراغب، المُفردات، ص: 839.
(8) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المُؤصَّل: (رشد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»